مقصد تأليف القلوب

دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية

دكتور/ أحمد بن محمد بن حسين رفيع

أستاذ الفقه الإسلامي المساعد

قسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية

كلية العلوم والآداب برابغ

جامعة الملك عبدالعزيز – المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يستطلع هذا البحث مقصد تأليف القلوب، وتكمن أهميته في أمور: أولها: حاجة الموضوع إلى تأصيلٍ وتحريرٍ؛ لأنه لم يُبحث بحثاً مستوفياً من الباحثين – حسب اطلاعي –، وثانيها: حاجة الناس لإدراك مقصد تأليف القلوب والعمل به في واقع الحياة، لما يترتب على ذلك من وحدة الكلمة والاجتماع وقوة المسلمين، وثالثها: إدراك أهل العلم وطلابه لمقصد تأليف القلوب، والحرص على تطبيق ذلك مع المدعوين وتعميقه في نفوس الناس.

وقد اشتملت هذه الدراسة على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر.

تحدثت في المبحث الأول عن تأصيل مقصد تأليف القلوب من حيث: تعريفه، والنصوص الشرعية الواردة فيه، والأسباب المعينة على تحقيقه. وأما المبحث الثاني، فقد اشتمل على تطبيقات فقهية على مقصد تأليف القلوب، وفيه أربعة مطالب: الأول: صرف الزكاة تأليفاً للقلوب، والثاني: الهدية، والثالث: إفشاء السلام، والرابع: خطبة الرجل على خطبة أخيه.

ثم ختمت هذا البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، كما وضعت فهرساً للمصادر.

الكلمات المفتاحية: مقصد – تأليف – القلوب

Abstract:

This research explores the purpose of creating love, and its importance lies in issues: the first: the subject's need for fundamental research and analysis; Because it was not fully researched by the researchers - according to my knowledge -, and the second: the people's need to realize the purpose of creating love and work with it in the reality of life, because of benefits resulting from that such as the unity of the Muslims voice, alliance, and the strength of Muslims. The third: the understanding of the scholars and the students of the purpose of creating love, and their keenness to apply that with the invitees and deepen it in people's hearts.

This study included: an introduction, two chapters, a conclusion, and an index of sources.

In the first topic, I discussed about the fundamental study of the purpose of creating love in terms of: its definition, the scriptural texts that recommended it, and the wherewithal for achieving it. The second topic included jurisprudential applications of the purpose of creating love, and it contains four sub-topics: first: spending zakat to create love, second: Presenting gift, third: exchanging greetings, and fourth: for a man to propose to a lady whom his Muslim brother has proposed to.

Then I concluded this research with a conclusion in which I showed the most important results I had reached, and I also made an index of the sources

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِل له، ومن يُضْلِل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الشريعة الإسلامية قد حثّت على تأليف القلوب، وتضافرت النصوص الشرعية على بيان أهمية ذلك وفضله، وسدّت الأبواب المفضية إلى التنازع والتفرق والشحناء، وهذا الموضوع يتعلق بعدة مسائل فقهية تناولها الفقهاء في مؤلفاتهم.

فاستخرت الله في بحث هذا الموضوع وتأصيله، بذكر تعريفه، والنصوص الشرعية الواردة فيه، وأسبابه، ثم ذكرت تطبيقات فقهية على مقصد تأليف القلوب.

واللهَ أسأل أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع في ثلاثة أمور، وهي على النحو الآتي:

١-حاجة الموضوع إلى تأصيلٍ وتحريرٍ؛ لأنه لم يُبحث بحثاً مستوفياً من الباحثين -حسب اطلاعي-.

٢-حاجة الناس لإدراك مقصد تأليف القلوب والعمل به في واقع الحياة، لما يترتب على ذلك من وحدة الكلمة والاجتماع وقوة المسلمين.

٣-إدراك أهل العلم وطلابه لمقصد تأليف القلوب، والحرص على تطبيق ذلك مع المدعوين وتعميقه في نفوس الناس.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مواقع المعلومات، وأوعية النشر المتعددة، وسؤال الباحثين المتخصصين، لم أقف- حسب اطلاعي- على بحث يحمل العنوان نفسه، أو يختص بدراسة مسائل البحث كلها، ولا يعدو ما كتب في الموضوع أن يكون مسائل متناثرة في كتب وبحوث أهل العلم.

وقد وقفت على رسالة علمية، نوقشت في المعهد العالي للقضاء عام ١٤٣٩هـ، بعنوان: (مراعاة الخواطر التي نصّ عليها الفقهاء)، للباحث أحمد المطيري، تناول فيها نصوص الفقهاء في مراعاة الخواطر بقسم المعاملات، ووقفت على بحث منشور بمجلة جامعة الحديدة، بعنوان: (جبر الخواطر في

الفقه الإسلامي)، للباحث بندر أحمد الخضر، تناول فيه تأصيل جبر الخواطر وأثره على المأمورات والمنهيات والمباحات.

والإضافة العلمية في بحثي هي تناول موضوع تأليف القلوب والذي هو أخص من موضوع البحثين السابقين، ولذا فإن الحاجة قائمة لوجود بحث يساهم في استكمال معالجة جوانب هذا الموضوع قدر الإمكان – والله أعلم.

المنهج المتبع في البحث:

١- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها، وذكرت أرقام آياتها في الحاشية.

٢- ترجمتُ للأعلام، عدا المشهورين، كالخلفاء الراشدين، والأئمة الأربعة، وزوجات النبي – صلى الله عليه وسلم –، وعدا المعاصرين الأحياء.

٣- خرّجتُ الأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لم أخرّجه من غيرهما، وإن كان في غير الصحيحين فقد خرّجته من السنن الأربعة، وإن كان في غيرها خرّجته من بقية الكتب التسعة، وحرصتُ على الحكم عليه من خلال ما ذكره العلماء المتقدمون، فإن لم أقف على حكمٍ للمتقدمين ذكرت حكم المعاصرين.

خطة البحث:

تشتمل الخطة على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع:

المقدمة:وفيها(أهمية الموضوع،الدراسات السابقة،والمنهج المتبع في البحث،وخطة البحث).

المبحث الأول: تأصيل مقصد تأليف القلوب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مقصد تأليف القلوب.

المطلب الثاني: النصوص الشرعية الواردة في مقصد تأليف القلوب.

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على تحقيق مقصد تأليف القلوب.

المبحث الثاني: تطبيقات فقهية على مقصد تأليف القلوب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: صرف الزكاة تأليفاً للقلوب.

المطلب الثاني: الهدية.

المطلب الثالث: إفشاء السلام.

المطلب الرابع: خطبة الرجل على خطبة أخيه.

الخاتمة.

قائمة المصادر.

المبحث الأول: تأصيل مقصد تأليف القلوب

المطلب الأول: تعريف مقصد تأليف القلوب

الفرع الأول: تعريف المقصد لغة واصطلاحاً:

المقصد – عند اللغويين – يطلق على: إتيان الشيء وأَمِّه[١]، وعلى: استقامة الطريق[٢]، وعلى: التوسط والاعتدال[٣].

واصطلاحاً: ذكر المتقدمون إشاراتٍ استفاد منها المعاصرون في وضع التعريف، ومن أبرز تعريفاتهم ما يأتي:

١- تعريف ابن عاشور[٤]:«المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختصُّ ملاحظتها بالكون في نوعٍ خاصٍ من أحكام الشريعة»[٥].

٢- تعريف علال الفاسي[٦]:«الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكمٍ من أحكامها»[٧].

٣- تعريف أ.د.أحمد الريسوني: «الغايات التي وضِعت الشريعة لأجل تحقيقها؛ لمصلحة العباد»[٨].

الفرع الثاني: تعريف تأليف القلوب:

لغةً: يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، وأَلِفت فلاناً إذا أنست به، وألّفت بينهم تأليفاً إذا جمعت بينهم بعد تفرق[٩].

اصطلاحاً يمكن تعريفه: استمالة القلوب والتودد لها بغية جمعها وعدم تفرقها.

---

(١)مقاييس اللغة ٩٥/٥، مادة (قصد).

(٢)انظر: المحكم والمحيط الأعظم ١٨٥/٦، تهذيب اللغة ٢٧٤/٨، مادة (قصد).

(٣)انظر: لسان العرب ٣٥٤/٣، المصباح المنير ٥٠٤/٢، مادة (قصد).

(٤)هو: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الفقيه الأصولي المالكي، من مؤلفاته: تفسير التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، توفي سنة ١٣٩٣هـ، انظر في ترجمته: الأعلام ١٧٤/٦.

(٥)مقاصد الشريعة الإسلامية ١٢١/٢.

(٦)هو: علال بن عبدالواحد الفاسي المالكي، ومن كبار الخطباء العلماء في المغرب، ولد بفاس، وتعلم بالقرويين، من مؤلفاته: مقاصد الشريعة ومكارمها، ودفاع عن الشريعة، توفي سنة ١٣٩٤هـ، انظر في ترجمته: الأعلام ٢٤٦/٤.

(٧)مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ص١١١.

(٨) نظرية المقاصد عند الشاطبي ص٧.

(٩) انظر: مقاييس اللغة ١٣١/١، تهذيب اللغة ٢٧٢/١٥، مادة (ألف).

المطلب الثاني: النصوص الشرعية الواردة في مقصد تأليف القلوب

تكاثرت النصوص الشرعية في الحث على تأليف القلوب، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(١).
- وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).
- وقال تعالى: (﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(٣).
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾(٤).
- وجاء في الحديث: (لـمَّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في النَّاس في المؤلَّفة قلوبهم، ولم يعطِ الأنصار شيئًا، فكأنَّهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النَّاس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ كلَّما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: كلَّما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب النَّاس بالشَّاة والبعير، وتذهبون بالنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك النَّاس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والنَّاس دثار، إنَّكم ستَلْقَون بعدي أَثَرَة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)(٥).
- وجاء في الحديث: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتهم؟ أفشوا السلام بينكم)(٦).

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال، آية ٦٢.
(٣) سورة الحجرات، آية ١٠.
(٤) سورة الحجرات، آية ١١.
(٥) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (٤٣٣٠) ١٥٧/٥، ومسلم رقم (١٠٦١) ٧٣٨/٢.
(٦) أخرجه مسلم رقم (٥٤) ٧٤/١.

- وجاء في الحديث: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[١].

المطلب الثالث: الأسباب المعينة على تحقيق مقصد تأليف القلوب

ذكر الماوردي خمسة أسباب للألفة وهي: الدين والنسب والمصاهرة والمؤاخاة بالمودة والبر:

(فأما الدين: وهو الأول من أسباب الألفة فلأنه يبعث على التناصر، ويمنع من التقاطع والتدابر... وأما النسب: وهو الثاني من أسباب الألفة فلأن تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة، ويمنعان من التخاذل والفرقة، أنفة من استعلاء الأباعد على الأقارب، وتوقيا من تسلط الغرباء الأجانب... وأما المصاهرة: وهي الثالث من أسباب الألفة فلأنها استحداث مواصلة، وتمازج مناسبة، صدرا عن رغبة واختيار، انعقدا على خير وإيثار... وأما المؤاخاة بالمودة، وهي الرابع من أسباب الألفة؛ لأنها تكسب بصادق الميل إخلاصا ومصافاة، ويحدث بخلوص المصافاة وفاء ومحاماة. وهذا أعلى مراتب الألفة، ولذلك آخى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أصحابه؛ لتزيد ألفتهم، ويقوى تظافرهم. وتناصرهم... وأما البر، وهو الخامس من أسباب الألفة فلأنه يوصل إلى القلوب ألطافا، ويثنيها محبة وانعطافا. ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به وقرنه بالتقوى له)[٢].

ومن الأسبابٌ المعينة على تحقيق مقصد تأليف القلوب ما يأتي:

١- **التعارف ومخالطة الناس**:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٣] فالتعارف سبب لتأليف القلوب وتقاربها جاء في الحديث: (الأرواح جنودٌ مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[٤].

٢- **التَّواضع**:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [٥].

(١) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (١٣) ١٢/١، ومسلم رقم (٤٥) ٦٧/١.
(٢) أدب الدنيا والدين ص١٨٢.
(٣) سورة الحجرات، آية ١٣.
(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٦٣٨) ٢٠٣١/٤.
(٥) سورة المائدة، آية ٥٤.

قال الشوكاني[١]: (وصف الله – سبحانه وتعالى – أصحاب النَّبـيِّ – صـلى الله عليه وسلم – بأنَّهم يظهرون العطف والحُنُوَّ والتَّواضع للمؤمنين، ويظهرون الـشِّدَّة والغلظـة والتَّرفّع على الكافرين)[٢].

وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣] قال القرطبيُّ[٤]: (أي: أَلِن جانبك لمن آمـن بك، وتواضعْ لهم)[٥].

وجاء في الحديث: (إنَّ الله أوحى إليَّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ علـى أحـد، ولا يبغي أحدٌ على أحد)[٦].

قال ابن عثيمين: (أن يتواضع كلُّ واحد للآخر، ولا يترفَّع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السَّلف – رحمهم الله –: أنَّ الإنسان منهم يجعل مَن هو أصغر منه مثل ابنه، ومَن هو أكبر مثل أبيه، ومَن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبـر منـه نظرة إكرام وإجلال، وإلى مَن هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى مَن هو مثلـه نظـرة مساواة)[٧].

٣-أداء الحقوق:

جاء في الحديث: (حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المـريض، واتبـاع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)[٨].

(١) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني، من كبار علماء اليمن، كان معروفاً بنبذه للتقليد، من مؤلفاته: فتح القدير، ونيل الأوطـار، تـوفي سـنة ١٢٥٠هـ. انظر في ترجمته: البدر الطالع ٢/٢١٤.

(٢) فتح القدير ٢/٥٩.

(٣) سورة الحجر، آية ٨٨.

(٤) هو: أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي، كان من العلماء العارفين، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر في ترجمته: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ٢/ ٣٠٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٥٧.

(٦) أخرجه مسلم رقم (٢٨٦٥) ٤/٢١٩٧.

(٧) شرح رياض الصالحين ٣/٥٢٤.

(٨) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (١٢٤٠) ٢/٧١، ومسلم رقم (٢١٦٢) ٤/١٧٠٤.

المبحث الثاني: تطبيقات فقهية على مقصد تأليف القلوب

المطلب الأول: صرف الزكاة تأليفاً للقلوب

قصد الإسلام إلى تأليف القلوب وجعل من مصارف الزكاة إعطاء المؤلفة قلوبهم، وهم من يرجى كف شرهم، أو إسلامهم، أو قوة إيمانهم(١)، وسهمهم لم ينسخ، ويكون حسب المصلحة، وهذا مذهب الشافعية(٢) إلا أنهم اشترطوا الإسلام، ومذهب الحنابلة(٣)، وهو قول للمالكية(٤)، واختاره ابن تيمية(٥).

قال تعالى :﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٦).

وجاء في الحديث:(ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئا إلا أعطاه. قال فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة)(٧).

وقد (بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل)(٨).

المطلب الثاني: الهدية

جاءت الشريعة الإسلامية بتتميم مكارم الأخلاق، ومن ذلك الحث على التهادي لكونه مما يزيد الألفة والمحبة، وتتقارب القلوب به، وتُزال البغضاء والعداوات، فيستحبُّ ذلك إجماعاً(٩)؛ جاء في الحديث ((تهادَوا تحابُّوا))(١٠).

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التهادي ولو كان قليلاً فقد جاء في الحديث: (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة)(١١).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٨/٢٩٠.
(٢) انظر: مغني المحتاج ٤/١٧٨.
(٣) انظر: كشاف القناع ٥/١٣٦.
(٤) انظر: منح الجليل ٢/٨٨.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى ٣٣/٩٤.
(٦) سورة التوبة، آية ٦٠.
(٧) أخرجه مسلم رقم (٢٣١٢) ٤/١٨٠٦.
(٨) أخرجه البخاري رقم (٤٣٥١) ٥/١٦٣، وأخرجه مسلم رقم (١٠٦٤) ٢/٧٤٢.
(٩) انظر: تبيين الحقائق ٥/٩١، وتحفة المحتاج ٦/٢٩٥.
(١٠) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٤٦٣) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٢٢١.
(١١) أخرجه البخاري رقم (٢٥٦٦) ٣/١٥٣.

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدايا فقد جاء في الحديث: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتي بطعام سأل عنه: أهدية أم صدقة، فإن قيل صدقة، قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل، وإن قيل هدية، ضرب بيده صلى الله عليه وسلم فأكل معهم)[١] و(كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانهم فيسقينا)[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو كانت حقيرة يسيرة جاء في الحديث: (لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)[٣].

وتستحب الإثابة والمكافأة على الهدية، جاء في الحديث (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، ويثيب عليها)[٤].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا رد الهدية ذكر سبب ذلك مراعاة لخاطر المهدي فقد أُهدي للنبي صلى الله عليه وسلم حمار وحشي (وهو بالأبواء أو بودان، فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم)[٥].

المطلب الثالث: إفشاء السلام

إفشاء السلام من العبادات العظيمة التي حث عليها الشرع، قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٧] وأمر سبحانه بأن نرد التحية بأحسن منها أو بمثلها، فقال تعالى :﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[٨] وجاء في الحديث:(حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)[٩]. وإفشاء السلام عبادة تزيد المحبة وتؤلّف بين قلوب المسلمين، وتذهب البغضاء والشحناء والعداوات، وهي سبب لدخول الجنة جاء في الحديث: (لا تدخلون الجنة حتى

(١) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (٢٥٧٦) ١٥٥/٣، وأخرجه مسلم رقم (١٠٧٧) ٧٥٦/٢.
(٢) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (٢٥٦٧) ١٥٥/٣، وأخرجه مسلم رقم (٢٩٧٢) ٢٢٨٣/٤.
(٣) أخرجه البخاري رقم (٢٥٦٨) ١٥٣/٣.
(٤) أخرجه البخاري رقم (٢٥٨٥) ١٥٧/٣.
(٥) أخرجه البخاري رقم (١٨٢٥) ١٣/٣، وأخرجه مسلم رقم (١١٩٣) ٨٥٠/٢.
(٦) سورة النور، آية ٢٧.
(٧) سورة النور، آية ٦١.
(٨) سورة النساء، آية ٨٦.
(٩) أخرجه البخاري واللفظ له رقم (١٢٤٠) ٧١/٢، ومسلم رقم (٢١٦٢) ١٧٠٤/٤.

تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)[١] وجاء في الحديث: (أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف)[٢].

قال النووي: (فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف... والسلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به)[٣].

المطلب الرابع: خطبة الرجل على خطبة أخيه

جاء الإسلام بتأليف القلوب وإزالة البغضاء والشحناء بين المسلمين، وجعلهم إخوة في الإيمان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤] جاء في الحديث: (إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا)[٥] وبين لنا سبحانه بأن الشيطان حريص على إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٦].

ولذا نهى الشرع عن خطبة الرجل على خطبة أخيه في حال لم يترك الخاطب الأول، أو لم يأذن له إجماعاً[٧] جاء في الحديث: (نهى رسول صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها)[٨] وجاء في الحديث: (ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك)[٩] وجاء في الحديث: (لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له)[١٠].

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٤) ٧٤/١.
(٢) أخرجه البخاري رقم (١٢) ١٢/١.
(٣) شرح النووي على مسلم ٣٦/٢.
(٤) سورة الحجرات، آية ١٠.
(٥) أخرجه البخاري رقم (٥١٤٣) ١٩/٧.
(٦) سورة المائدة، آية ٩١.
(٧) انظر: المغني ٥٦٧/٩، شرح النووي على مسلم ١٩٧/٩، مجموع الفتاوى ٣٢/٩.
(٨) أخرجه البخاري رقم (٢١٤٠) ٦٩/٣.
(٩) أخرجه البخاري رقم (٥١٤٤) ١٩/٧.
(١٠) أخرجه مسلم رقم (١٤١٢) ١٠٣٢/٢.

فإن لم يُجب الخاطب الأول جاز أن يخطب الثاني، فعن فاطمة بنت قيس[1] (أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته، فقال: والله! مالك علينا من شيء، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له. فقال "ليس لك عليه نفقة". فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك. ثم قال:"تلك امرأة يغشاها أصحابي. اعتدي عند ابن أم مكتوم. فإنه رجل أعمى. تضعين ثيابك. فإذا حللت فآذنيني" قالت: فلما حللت ذكرت له؛ أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه. وأما معاوية فصعلوك لا مال له. انكحي أسامة بن زيد" فكرهته. ثم قال: "انكحي أسامة" فنكحته. فجعل الله فيه خيرا، واغتبطت)[2].

(١) هي: فاطمة بنت قيس الفهرية، إحدى المهاجرات وأخت الضحاك كانت تحت أبي عمرو بن حفص ين المغيرة المخزومي وهي التي روت حديث السكنى والنفقة للمطلقة البتة وهي التي روت قصة الجساسة توفيت في خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء ٣١٩/٢.

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٤٨٠) ١١١٤/٢.

الخاتمة وأهم النتائج:

في الختام أحمد الله تعالى أن منّ بإتمام هذا البحث، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

١- المقصد عند اللغويين يطلق على: إتيان الشيء وأَمِّه، وعلى: استقامة الطريق، وعلى: التوسط والاعتدال.

٢- من أسباب الألفة الدين والنسب والمصاهرة والمؤاخاة بالمودة والبر.

٣- من مصارف الزكاة إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم من يرجى كف شرهم أو إسلامهم، أو قوة إيمانهم، وسهمهم لم ينسخ، ويكون حسب المصلحة.

٤- يستحب التهادي إجماعاً لكونه مما يزيد الألفة والمحبة، وتتقارب القلوب به، وتُزال البغضاء والعداوات.

٥- وإفشاء السلام عبادة تزيد المحبة وتؤلّف بين قلوب المسلمين، وتذهب البغضاء والشحناء والعداوات، وهي سبب لدخول الجنة

٦- نهى الشرع عن خطبة الرجل على خطبة أخيه في حال لم يترك الخاطب الأول أو لم يأذن له إجماعاً.

قائمة المصادر

١- **أدب الدنيا والدين**، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، دار مكتبة الحياة، د.ط، ١٩٨٦م.

٢- **إرشاد القاصد إلى معرفة المقاصد**، يعقوب الباحسين، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٣- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٤- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم الملايين، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.

٥- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، دار المعرفة، د.ط، د.ت.

٦- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، عثمان بن علي الزيلعي، المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة الأولى، ١٣١٤هـ.

٧- **تحفة المحتاج في شرح المنهاج**، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، د.ط، ١٣٥٧هـ.

٨- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩- **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، د.ط، ١٤٢٣هـ.

١٠- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، د.ط، د.ت.

١١- **سير أعلام النبلاء**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٢- **شرح رياض الصالحين**، محمد صالح العثيمين، دار الوطن، د.ط، ١٤٢٦هـ.

١٣- **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

١٤- **صحيح الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.

١٥- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٦- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د.ط، ١٣٧٤هـ.
١٧- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٨- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ.
١٩- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، د.ت، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، ١٤١٤هـ.
٢٠- **كشاف القناع عن الإقناع**، منصور بن يونس البهوتي، وزارة العدل، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢١- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري، دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٢- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ.
٢٣- **محاضرات في مقاصد الشريعة**، أحمد الريسوني، دار الكلمة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦هـ.
٢٤- **المحكم والمحيط الأعظم**، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٥- **مدخل إلى مقاصد الشريعة**، أحمد الريسوني، دار الكلمة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ.
٢٦- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.
٢٧- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٨- **المغني**، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالله التركي – عبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ.
٢٩- **المقاصد الجزئية**، وصفي عاشور أبو زيد، دار المقاصد، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
٣٠- **مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية**، محمد بن سعد اليوبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ.

٣١- **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، علال الفاسي، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.

٣٢- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، د.ط، ١٤٢٥هـ.

٣٣- **مقاصد الشريعة عن الشاطبي عرض وتحليل**، عبداللطيف عامر، د،ط، د.ت.

٣٤- **مقاصد الشريعة في السنة النبوية**، سعد عبدالرحمن الكبيسي، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

٣٥- **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ.

٣٦- **منح الجليل شرح مختصر خليل**، محمد عليش، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣٧- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٨- **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٣٩- **نظرية المقاصد عند الشاطبي**، أحمد الريسوني، دار الكلمة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٦هـ.